

في الأرواب الفرنسية المعاصرة

رومان رولان

Romain Rolland

بقلم علي كامل

ولا عجب أن يبدو ذلك من رجل مثل رومان رولان لم تنكد نملن الحرب الكبرى - وكأنت وقتذاك في جنيف بسويسرا - حتى أخذ يكتب سلسلة مقالات ملتهبة بالمطافة الانسانية ، مطالباً فيها بالبادرة بحقن الدماء وعودة السلام وإنقاذ أرواح الشباب البرى الذى يلمب بمقله خطباء الشوارع مستغلين حرارة قلبه وسمو نفسه في سبيل جشع أصحاب مصانع السلاح ودجل رجال الحكومات . ولقد آثر رومان رولان عداء الرجيمين من أبناء وطنه والصحافة المادية المنرضة التي أثارته عليه الرأى العام الساذج في كل أمة مهما بلغ رقيها ، آثر ذلك على أن يتنازل عن حريته في الفكر والقول ، عن إنسانيته التي هي ثوته الكبرى

ولد رومان رولان في بلدة كلاميسى Clamecy في اليوم التاسع والعشرين من شهر يناير عام ١٨٦٦ من أسرة ريفية برجوازية عريقة القدم . وتعلم أولاً في البلدة التي ولد بها . ثم انتقل إلى باريس عام ١٨٨٦ حيث التحق بمدرسة الزمال العليا Ecole Normale Supérieure ؛ وفي عام ١٨٨٩ نجح في امتحان (الأجرىجاسيون) في التاريخ والفلسفة ، وفي عام ١٨٩٥ حصل على شهادة الدكتوراه في الآداب برسالة قدمها عن (أصول المسرح الفئاني الحديث) Les Origines du Théâtre Lyrique Moderne وعين بعد ذلك أستاذاً لتاريخ الفن في مدرسة الزمال العليا ، ثم عين أستاذاً في السوربون حيث أدخل مادة (تاريخ الموسيقى) وبقى فيها حتى عام ١٩١١ ابتداء رومان رولان حياته الأدبية بكتابة عدد كبير من

القصص المسرحية ، ولم يكن ذلك منه عنفواً بل كان تنفيذاً لفكرة غنمته في نفسه عن وجوب تجديد الفن المسرحى بالطريقة التي شرحها في سلسلة مقالاته التي كتبها بعنوان (مسرح الشعب) Théâtre du Peuple (١٩٠٠)

كتب رومان رولان من هذه القصص المسرحية Saint Louis (١٨٩٧) - Aert (١٨٩٨) - Les Loups (١٨٩٨) - Danton (١٩٠٠) - Le Triomphe de la Raison (١٨٩٩) - Le 14 Juillet (١٩٠٢) (١) - Le Temps Viendra (١٩٠٢)

(١) الفصه الأولى والثانية والرابعة تدخل تحت عنوان رئيسى واحد هو (مآسى الايمان) Tragédies de la Foi . والفصه الثالثة والخامسة والسادسة تدخل تحت عنوان (مسرح الثورة) Théâtre de la Revolution

يطلع علينا رومان رولان بين وقت وآخر من أعماق عزلته في سويسرا بعيداً عن وطنه فرنسا بكتاب أو مقال جديد فيشمر من قرأ هذا الأديب العظيم بمخين زائد إلى قراءة هذا الكتاب أو هذا المقال . ذلك أن رومان رولان كاتب عالمى الفكر والمطافة لا يكتب لأمة معينة ولا لشعب خاص ، بل يكتب للعالم أجمع ناظراً إليه كأسرة انسانية واحدة لا تغرقها حدود ، ولا تفرقها لهجات ، ولا تبدر بذور الحقد والضغينة في قلوب أعضائها فكرة الأجناس . لذا كان رومان رولان من أحب الكتاب المعاصرين إلى كل قلب رحيم ونفس واسعة الآفاق . وكتابه عن (مهاتما غاندى) يقربه إلى قلوبنا نحن الشرقيين لأنه وقف فيه موقف المدافع القوى عن الحركة الهندية وشعبها المجيد المهضوم ، كاشفاً القناع عن فضائح الغرب وآثامه في قتل أمة عظيمة بلغت مئات الملايين والوقوف في وجهها بالالتجاء إلى البطش الخسيس حين نهض مطالبة بحقها في الحياة

ساحبات على الكهتور أصباً
ناسجات شائف الأفق الزا
ذاب في الأفق راقاً فوق هام ال
يفسل النوم من مضاجع رعباً

عجباً للجلال والحسن ماجا
ينسجان الهوى من الفجر بزدا
صاح من روجه وكبر في أع
أهدأ الجمال يارب ، هذا الد

التعباني يوسف بشير

أم درمانه - مردانه

عن (حياة تولستوى) Vie de Tolstoi (١٩١٣) ، ثم أخيراً
يصدر كتابه الشهير عن (مهاجماً غاندى) Mahatma Gandhi (١٩٢٦)

ويرى رومان رولان أننا في عصرنا الحاضر أحوج ما نكون
إلى دراسة أولئك الأبطال (لأن أوروبا الآن يقشها جو خائق مغمم
بالرذيلة . إذ طغت المادية الوضيعة على الفكر . . . إن العالم
يخنتق . فلنفتح النوافذ حتى يدخل الهواء الطلق العليل . فلنستشق
نغثات الأبطال) (١) وما هؤلاء الأبطال إلا أولئك الذين نرى
فيهم — كما يقول رومان رولان — (روح البطولة . ورجاحة
العقل والابتسامة الداعية ، وشهوة النور والمعرفة . تلك الصفات
التي نراها في فرنسا في رابليه وموليير وبييرو ، وبين الموسيقين
نستطيع أن نقول بيرليوز وبيريه لأنه لا يوجد خير منهما)

على أن رولان يرى في بيتهوفن وميشيل آنج وتولستوى عبقرية
لم يجدها في أبناء وطنه . فيرى في بيتهوفن الشخص (الذي منه
تنتقل عدوى الشجاعة الخارقة . والاحساس بالسعادة في الكفاح ،
وتطلب الضمير الذي يشعر في نفسه بأنه إله) . ويرى في تولستوى
(ذلك النور الذي انطفأ ، والذي كان لأبناء جيلين أظهر نور أضواء
شبابهم) وهو يجد فيه أيضاً (الصديق الحقيقي الوحيد بين كل
رجال الفن المعاصر) . ولنا في حاجة إلى تأكيد الصلة الوثيقة
بين تولستوى ورومان رولان ، إذ أن تولستوى هو الكاتب الوحيد
بين الكتاب الحديثين الذي طالب بأن تكون رسالة الفنان
أخلاقية ودينية . وهذا هو أظهر ما يميز فن رومان رولان ودعوته
ونحن إذا نظرنا الآن إلى هؤلاء الثلاثة الذين يجدهم رومان

رولان رأينا أن أولهم ألماني ، والثاني إيطالي ، والثالث روسي .
فكانه لم يجد بين أبناء وطنه مثله الانساني الأعلى . لذا كان
ذلك داعياً إلى أن يجد رومان رولان عدداً ليس بالقليل من
النقاد الفرنسيين يهتمونه بانتقاص العبقرية الفرنسية والظن فيها .
والواقع أن رومان رولان كان دائم اللوم لأبناء وطنه على (شدة
تأثرهم بالأوهام الخداعية التي تصوغها الخल्प الزناة) وكان
يصرح دائماً (بكرهه لتلك النوع الجبان من النثل الأعلى الذي
يدبر العيون عن يؤس الحياة وضمف النفس . إن البطولة الكاذبة

(١) راجع مقدمة كتاب (حياة بيتهوفن)

Le Montepan (١٩٠٤) Les Trois Amoureuses (١٩٠٥) —
Le Triomphe de la liberté (١٩١٧) — hifuti (١٩١٩) .

وفي مقالاته عن (مشرح الشعب) نادى رومان رولان بأن
يكون المسرح منحوراً من بورجوازيته أى من اقتصاره على رسم
ألوان الحياة الدائرة بين الطبقات الوسطى والفقيرة ، لأن هذه
الطبقات لا تكون إلا جزءاً ضئيلاً من الأمة . فاقصر موضوعات
الكتاب المسرحيين عليها يحرم المسرح من أن يكون معبراً عن
روح الشعب الحقيقية وآماله التي لانفسها إلا في الطبقات الفقيرة
وهي الكثرة في كل شعب . كذلك هاجم رومان رولان
المسرح الكلاسيكي والمسرح الرومانيكي داعياً إلى أن يكون
الفن المسرحي صدى لتفكير العصر الذي نميش فيه ، وأن
يكون مهدياً الطريق لمجتمع جديد . وبرغم أن رومان رولان
بقى حتى الحرب الكبرى لا يملن فكرته السياسية المحددة ،
فإن كل كتبه كانت تفيض بتمجيد الحرية والأحرار وبنزعة إنسانية
عظمى . ولقد كان هذا المجتمع الجديد الذي يرى إلى التمهيدله هو
ذلك الذي تحيا فيه الطبقات الفقيرة المهضومة حياة حرة كريمة ،
وتجد بين أحضانه أكبر قدر من الحنان والتقدير .

على أننا ونحن في انتظار ذلك اليوم المطوى في ثنايا الغيب
يرى رومان رولان وجوب أن نعد الشعب لتقبل ذلك المجتمع الجديد ،
وما ذلك إلا بأن نهيء الفرد لبلوغ أعظم درجة مستطاعة من الكمال
الانسانى حتى يقابل كل تطور جديد بقلب مفتوح وسرجيل . ولذا
يرى رومان رولان (أخلاقياً) يطالب الفرد بأن يكون قوى الخلق
عظيم النفس ، حنون القلب محباً لكل الناس ، راغباً في معرفة
كل شيء ، مستمذباً التضحية في سبيل الفكرة السامية . فهذا
وحده نستطيع أن تقبل راضين مجتمعاً جديداً مترقماً عن الدنيايا
كارهاً لضروب الرياء الدليل ، بعيداً كل البعد عن الأنانية
الحيوانية . ولهذا أيضاً كان رومان رولان يهيم بحياة الأبطال
الذين يرى فيهم مثلاً أعلى لما يجب أن يكون عليه الفرد من
الفضائل . فتراه يكتب — كما ذكرنا — قصته المسرحيتين (سان
لويس) و(دانتون) . ثم زاه يكتب بعد ذلك ثلاث تراجم بعنوان
(حياة الرجال المشهورين) Vies des Hommes Illustres وأولاهما
عن (حياة بيتهوفن) Vie de Beethoven (١٩٠٣) والثانية عن
(حياة ميشيل آنج) Vie de Michel Ange (١٩٠٦) والثالثة

تفيض بالضمير الحر والحب النبيل والموسيقى الرائعة^(١) وليس إعجاب رومان رولان بتهوفن قاصراً على كونه نموذجاً للبطل الذي ينشده مما دفعه لأن يرسم شخصية (جان كرسstof) ماثلة له ، بل أيضاً لأنه (امام الموسيقيين) ، (والموسيقى الآلهية) عند رولان كأبطاله عثمانة (الضوء الذي ينير حياته) ولقد رأينا كيف كان له الفضل في إدخال مادة (تاريخ الموسيقى) في السوربون حين عين أستاذاً فيها . كما أنه كتب فضلاً عن دراسته الخالدة عن تهوفن عدة دراسات أخرى في الموسيقى . منها Musiciens d'autrefois (١٩٠٨) و Musiciens d'aujourd'hui (١٩٠٨) و Haencl (١٩١٥) ذلك أن رومان رولان يرى - ككاتب أخلاقى - أن الموسيقى خير مهذب للنفوس الربضة ، وأعظم حافز للمواطن الخاملة ، كما أن الموسيقى البقرى يستطيع أن يجعل موسيقاه خبير تعبير عن روح العصر وآماله وظروفه الملوسية

(البقية في العدد القادم)

على لامل

(١) André Bill. La Littérature Française Contemporaine p.163

جبن ونذالة . فليس هناك إلا نوع واحد من البطولة . تلك هي التي ترى الحياة كما هي وتحبها)

والمعجب أن رومان رولان عند ما أراد أن يرسم صورة خيالية تتجمع فيها فضائل أبطاله السابقين لم يجعل بطلها فرنسياً بل ألمانياً . فكتب قصة (جان كرسstof) Jean Christophe (١٩٠٤ - ١٩١٢) وبطلها جان كرسstof - موسيقى ألماني (تغلقت فيه نفس تهوفن العظيمة . فصلبت أعضائه ونفسه وبدت كأنما جعلت حجمها ضخماً هائلاً . لقد كان يتجه نحو العالم . كان يجيل شامخ تدوى بين أرجائه العواصف ، عواصف الحرارة والحماسة ، عواصف الهم الدفين ، آه ! ياله من هم ! على أن ذلك لم يؤثر بشيء ! كان يحس بنفسه وافر القوة ؟ ... المذاب ! المذاب أيضاً ! ... آه ! ما أجل أن يكون المرء قوياً ما أجل أن يتمذب المرء عند ما يكون قوياً ! ...)

وقصة (جان كرسstof) تقع في عشرة أجزاء ، وهي في نظر الناقد أندريه ببي أقرب إلى أن تكون ترجمة لشخصية خيالية من أن تكون قصة ؛ وهي - كسائر أعمال رومان رولان -

وَأَلْمُرُحُضَيْرُ

٥٠٦٥
بالتاريخ



١٠٥٧
صدرت بترخيص

بريشة ذهب عيار ١٤
مضمون ٣ سنوات

للتجارة الكوكمان الشرقية
مكتبة وطبعة خمير بساع عبد العزيز بربر

القصص المدرسية

بصدرها

سعيد الصريانه امين دويرار محمود زهران

خريجو دار العلوم

«إنها رجولة عالية تماق إلى التليذ في أسلوب التليذ»

سند زهران

صدرت حديثاً :

مدامس أكسفورد

في طبعها الثانية اجابة لرجاء قرائها الكثرين

العنوان :

امين دويرار : مدرسة القاصد بطنطا

ثمان النسخة ٥ مليات